تعليم اللغة العربية ومحو الأمية لكبار السن- دراسة حالة قسم محو الأمية بابتدائية محدادي عبد اللّه بسطيف -الجزائر -

أ. هشام سبع

ملخص الدراسة:

تعتبر عملية تعليم كبار السن في الجزائر تجربة حديثة نسبيا، ولأن لها أهمية بالغة في إعادة تأهيل وتعليم كبار السن أبجديات تعلم اللغة العربية والقضاء على الأمية في أفق سنة٢٠١٦، وذلك من خلال تخصيص أساتذة في الميدان التعليمي وفتح فضاء التعلّم لفئة المسنين. وهو ما دأبت عليه وزارة التربية الوطنية ممثلة بالديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار، ولأن مديرية التربية لولاية سطيف بالجزائر خصصت برنامج تعليمي لفئة المسنين يقارب ستة ساعات في الأسبوع تتلقى من خلالها تلك الفئة برنامج تلعيمي للغة العربية يدور محتواه عن كيفية الكتابة والنطق وضبط مخارج الحروف، والتحدّث باللغة العربية الفصحى. ومن خلال هذه المداخلة سنحاول دراسة حالة قسم محو الأمية بابتدائية محدادي عبد الله بدائرة عين أرنات بولاية سطيف وإجراء مقابلة مع أساتذة مشرفة على عملية تعليم اللغة العربية ومحو الأمية لكبار السن في الابتدائية ميدان الدراسة.

مقدمة:

إن العلم والتعلم لا يقتصر على الشباب فحسب، بل هما ملكتين لكل البشر الذين يريدون تجاوز عقبات الجهل والأمية، ولذلك حث رائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبد الحميد ابن باديس على تعلم اللغة العربية والتمسك بها فقد قال:" الإسلام ديننا، العربية لغتنا والجزائر وطننا " فهذه الحقيقة تدل على أن الأمة الإسلامية أمة قراءة بامتياز. فمن الواجب تدعيم اللغة العربية وتعليمها لمختلف الأجيال والأعمار حتى تبقى رافدا من روافد العلم .ومع التغيرات العالمية السريعة واتساع نطاق العلوم وظهور اللغات الأجنبية أثر نوعا ما في عدم انتشار نطاق اللغة العربية في الآونة الأخيرة خصوصا لدى شبابنا ، في وقت حل محلها اللغة الفرنسية والإنجليزية في كثير من مؤسساتنا وإداراتنا. وفي الجزائر تكاد تكون اللغة المتداولة هجين بين العامية والأجنبية من جهة ، وبين الفرنسية والعربية من جهة أخرى وهو ما يشير إلى بداية تلاشي واضمحلال اللغة العربية الفصحى واستبدالها بلغات أجنبية. وبين هاتين الحقيقتين سنحاول التركيز في هذا البحث على تعليم اللغة العربية ومحو الأمية لكبار السن الذين يشكلون شريحة هامة في تركيبة المجتمع الجزائري، مركزين على برنامج وزارة التربية الوطنية من خلال الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار ، وسنتناول من خلال هذه الدراسة أربعة محاور نظرية وإطار ميداني وفق التالي:

أولا: الإطار النظري للدراسة

المحور الأوّل: تحديد المفاهيم

أ- تحديد تعريف المسن

أ-١- لغة: المسن في اللغة العربية بمعنى الكبر،يقال سن الرجل أي كبر ، وأسن من هذا أي أكبر منه سنا (ابن منظور، لسان العرب، نقلا عن: مصطفى محمد أحمد الفقي، ٢٠٠٨، ص٢٣)،كما تستخدم العرب ألفاض أخرى لوصف المراحل التي يمر بها كبير السن ، فتقول "شيخ" وهو سن استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب ، ويقال هرم وهو أقصى العمر (مصطفى محمد أحمد الفقي،٢٠٠٨، ص٢٣)

المقصود بالشيخوخة هو المرحلة العمرية المتقدمة وبالرغم من اختلاف

المحطات التي تهتم بهذه الظاهرة في تحديد عمر وسنة فاصلة لمرحلة الشيخوخة. إلا أن التوافق الواضح فيما بين هذه المحطات والدراسات هو اعتبار أن سن ما بعد الستين هو المقصود بمرحلة الشيخوخة. وأما أصل اشتقاق اللفظ فيرجع إلى شاخ الإنسان: شيخًا وشيخوخة. و الفرد الشيخ هو من أدرك الشيخوخة وهي غالبًا عند الخمسين وهي مرحلة فوق الكهولة ودون الهرم وهو ذو المكانة في العلم . أو الفضل أو الرياسة، ويقال هرم الرجل هرمًا أي بلغ أقصى الكبر وضعف فهو هرم. (مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز،١٩٩٠، ص ١٣٥٥)

أ-٢- التعريف الاصطلاحي للمسن:

لقد تعددت تعريفات المسن تبعا لتعدد التخصصات العلمية ،وتنوع المترادفات العلمية لكلمة المسن مع الشيخوخة، الهرم العجز، والتقدم في العمر ومصطلحات كأرذل العمر كما ورد في القرآن الكريم، إلا انه وفي هذه الدراسة تحديدا سنحاول الوقوف على أهم تلك التعريفات العلمية لمصطلح المسنين مراعين في ذلك تخصصنا وأهم التوجهات النظرية السوسيولوجية التي ركزت في ضبطها لتعاريف أكثر إلماما بهذه الشريحة الاجتماعية.

يؤكد محمد شعلان أن تصنيف المسنين يجب أن يتم وفقا لآدائهم الوظيفي وإقبالهم على الحياة، وليس أعمارهم الزمنية ويدلل على ذلك بقوله أن الشيخوخة قد تأتي في أي سن، بل أن هناك شيخوخة مرضية قد تظهر في سن المراهقة (مصطفى محمد أحمد الفقي، ص ٢٥)

- المسن من الناحية النفسية والطبية: يرى المنظور النفسي بأن الفرد المسن هو الذي لا يستطيع عند تقدمه في العمر أن يتوافق بطريقة ناجحة باعتبار أن التوافق الذاتي هو التغير في السلوك من أجل التوافق بنجاح مع تغير الموقف الاجتماعي، في حين يعرّف المسن من المنظور الطبي بأنه " تلك التغيرات الفسيولوجية غير القابلة للرجوع والتي تحدث في الجسم نتيجة تقدمه في العمر وتستمر بصفة تصاعدية.
- المسن من المنظور الاجتماعي: أن المسن هو الشخص الذي بلغ سن الشيخوخة وافتقد المكانة والفاعلية الاجتماعية ليواجه مرحلة ضعف الارتباط بينه وبين المجتمع الأسري أو المجتمع الخارجي .

إن المسن هو الشخص الذي تجاوز الستين من عمره ويزداد اعتماده على غيره بازدياد تراجع وظائفه الجسدية والنفسية والاجتماعية ، ويختلف هذا تبعا لشخصية المسن والمعايير الاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع. (كمال يوسف بلان،٢٠٠٩، ص ٢١)

المسن من منظور الخدمة الاجتماعية: بأن مسن، معمر هو الشخص كبير السن وينطبق هذا التعبير على الفرد الذي يتخطى عمره ٦٥سنة والمشتغلون بعلم النفس يحددون مجتمع المسنين من السكان بثلاث فئات الفئة الأولى من (٦٠-٦٤ سنة) ويسمونها الشيخوخة المبكرة والفئة الثانية من (٦٥-٧٤سنة) وتسمى الشيخوخة الوسطى ،ومن ٧٤سنة فما فوق يسمونها الشيخوخة المتأخرة (أحمد شفيق السكري، مصر، ٢٠٠٠)

المسن حسب معجم العلوم الاجتماعية: الشيخوخة الهرم هي وصول السكان إلى سن الشيخوخة ويعتبر من المعطيات العامة في البلدان النامية أو المتطورة ، ويعتبر معدل الحياة في الإتحاد الأوربي ٧٤,٩ سنة بالنسبة للرجال و٨١,٢ سنة للمرأة وهذا حسب سنة٢٠٠١ بالنسبة إلى الإسقاطات الديموغرافية يكون معدل الحياة بالنسبة لربع السكان في البلدان المتطورة أكثر من ٦٥ سنة . وفي الوقت الذي يشيخ فيه السكان فإن وضعية ونشاط الأشخاص المعمرين قد يختلفان كليا وإطلاق اسم الإحالة على التقاعد يعتبر كليا عن هذا الأمر، فإن انقطاع النشاط يؤدي إلى انحصار العلاقات الاجتماعية وإلى البقاء في البيت وفي الدائرة الأسرية المحدودة (فرانسوا دورتيه،٢٠٠٩، ص٥١٨)

تحديد مفهوم كبار السن: عرّف علماء الطب المسن بأنه" هو كل من تجاوز سن الشباب وتظهر عليه حالة من التدهور الصحي والإدراكي مع ضعف عام لوظائف الأعضاء الحيوية للجسم ، وعرف علماء الخدمة الاجتماعية المسن بأنه هو" كل من تعدى سن الخامسة والستين واقتصر القدرة على تسيير أنشطته الحياتية ويتطلع إلى عون المؤسسات الاجتماعية . (خالد عطية السعودي، مرجع سبق ذكره، ص٢٦٠)

× إن الباحث ومن خلال تلك التعاريف العلمية سالفة الذكر للمسن يستنتج بأن التحديد العلمي للمسن جاء وفق تخصصات عديدة منها النفسية والاجتماعية والطبية وحتى البيولوجية. وكلها تتفق في مضمونها على أن المسن

مرحلة من المراحل العمرية التي يمر بها الشخص الذي عادة ما يفوق سنه ستون سنة فما فوق ، وهو السن القانوني للتقاعد تقريبا في كل دول العالم .وذلك راجع لتدني المستوى الصحي وكذا البدني من الناحية الفيزيولوجية ،مع تدني مستوى الصبر والاستيعاب والقدرة الجسدية على التحمل،لما لهذه المرحل العمرية من بداية الأفول والعوز الجسدي والاستطاعة وخرف الشيخوخة، ومجمل التغيرات التي تظهر على الشخص المسن ما فوق ستون سنة.

أ-٣ - التحديد الإجرائي لمفهوم المسن: يظهر تعريف المسن في هذه الدراسة من خلال التحديد العمري للشخص المسن، والذي حدد ما بين ٦٠-٦٥ سنة ، ومن خلال هذا التحديد تشمل هذه الدراسة الأشخاص كبار السن سواء تعلق الأمر بالمسنين ذكورا وإناث(شيوخ وعجائز) المتمدرسين بقسم محو الأمية في مدرسة محدادي عبد الله بلدية عين أرنات بولاية سطيف بالجزائر .

ب- تحديد تعريف المدرسة :

ب-١- لغة: المدرسة مشتقة لغويا من الفعل درّس والذي يتعلق بالتعلم أو التعليم ، وهناك نوعان من المدارس وهي المدرسة الخاصة والمدرسة الحكومية ، و هي التي تهتم بها الحكومة.(أحمد زكي بدوي، ص ٤٥)

ب-٢- إجرائيا: المدرسة من خلال هذه الدراسة هي ابتدائية محدادي عبد الله بولاية سطيف بالجزائر ،بها قسم يقدم دروس لمحو الأمية وتعليم الكبار لكلا الجنسين من طرف أستاذتين بإشراف منسق تابع لوزارة التربية والتعليم بالجزائر.

ج- تحديد مفاهيم التعلّم وتعليم الكبار:

ج-١ - لغة: التعليم من المصدر ، علّم وهي حرفة المعلم، وهي تلقين الطلاب المعارف ومبادئ العلوم على اختلاف أنواعها ، ومنه التعليم الابتدائي والثانوي ، والتعليم العالي والمهني.(المنجد الأبجدي في اللغة والأعلام ، بيروت، لبنان،دت، ص ٢٤٦)

ج-٢ - اصطلاحا ويعرّف الأستاذ فاروق مداس التعلّم: بأنه عملية تتكيف فيها نماذج استجابة سابقة مع تغيرات بيئية جديدة ، وينطوي التعلم على تغيير سلوك شخص وإعادة تنظيمه. (فاروق مداس، قاموس مصطلحات علم الاجتماع،دار مدني للنشر والتوزيع، الجزائر ، ص ٧٢

ويعتبر الباحث رشيد لبيب أن عملية التعليم هي تلقين التلاميذ معلومات مختلفة وتدريبهم على آداء مختلف التعليمات والتجارب المنصوص عليها ، وتهدف إلى إكساب التلاميذ المهارات المختلفة ورسم المخططات الملائمة.(رشيد لبيب، الأسس العامة للتدريس، دار النهضة العربية، ط١، بيروت ، لبنان، ١٩٩٣،ص٢٩)

يعرّف ابن خلدون التعليم فيقول فيه" ...في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري، ثم لأجل هذا الفكر وما جبل عليه الإنسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه الطباع ، فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات، فيرجع إلى من سبقه بعلم.."(عبد الرحمان ابن خلدون ، ص٤٥٠)

ج- ٣- تحديد مفهوم تعليم الكبار حظي تعليم الكبار بإهتمام العديد من التربويين، و بالرغم من ذلك فإن ثمة اختلافات بينهم حول تحديد هذا المفهوم وأهميته بالنسبة للفرد و المجتمع، و لأغراض هذه الدراسة فإن الباحث يسعى إلى تحديد هذا المفهوم في ضوء ما جاء في الأدب التربوي و بما يتفق و أغراض الدراسة. (روي بروسر،١٩٨٠،ص١٧)

فقد عرف "روى بر وسر"تعليم الكبار بأنه " القوة التي في حالة تطبيقها الأمثل يمكن أن تحدث تكييف الاتجاه داخل المجتمع نحو أي موقف متغير و جديد في أقصر وقت ممكن و التي تساعد في ابتكار التغيير الذي يشمل المهارات أو الأساليب المطلوبة و الضرورية،في حين يرى " محمد جمال نوير" أن تعليم الكبار هو نشاط تعليمي أو خبرة تعليمية أو مهارة أو سلوك ينمو خارج نظام التعليم المدرسي في المؤسسات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية، أو في المصنع و المشغل و المزرعة و منظمات الشباب و النقابات و الاتحادات و الجمعيات أو في برامج الخدمة العامة و مراكز التدريب، و باختصار يشمل كل نشاط تعليمي هادف يجري في موقف معين من مواقف الحياة خارج التعليم النظامي المدرسي. (محمد جمال نوير،١٩٨٠،ص ص ٩،١٠)

أما يحيى هندام و محمد منير مرسي و آخرون فيرون أن تعليم الكبار هو "

التعليم الهادف المنظم الذي يقدم للبالغين و الراشدين أو الكبار غير المقيدين في مدارس نظامية من أجل تنمية معارفهم و مهاراتهم أو تغيير إتجاهاتهم و بناء شخصياتهم .كما يشيرون إلى مفهوم تعليم الكبار في إنجلترا على النحو التالي : " تعليم الكبار هو كل أنواع التعليم غير المهني لمن تزيد أعمارهم عن(١٨) سنة و تقوم بتقديمه جهات مسئولة تحت إشراف السلطة التعليمية .(يحيى هندام ،دت، ص١٢)

× إن الباحث ومن خلال هذه التعاريف العلمية المقدمة حول ملكة التعلّم والتعليم للمسنين يستنتج بأن التعليم هو مهارة وقدرة يطبقها المعلم بحيث يشرف من خلال مداركه الحسية والمعرفية على إكساب الآخرين تقنية التعليم وأبجدياته النظرية والميدانية من أجل إزالة الغموض وتوضيح الأفكار والعمل على ترسيخ المعارف والمعلومات لجمهور المستفيدين من البرنامج التعلمي والتدريسي.

ج-٣ - التحديد الإجرائي لمفهوم تعليم كبار السن: التعليم هو النشاط الذي تقوم به أستاذة محو الأمية بابتدائية عبد الله محدادي(ميدان الدراسة) من اجل إكساب وتلقين كبار السن مهارات تعلم قراءة وكتابة اللغة العربية. ومن ثمة تعليمهم كيفية نطقها والتحدث والتواصل بها مع الأخرين، وذلك من خلال جملة المهارات والخبرات التي تُقدمها الأستاذة من اجل المساهمة على القضاء على الأمية وتجاوز عقبات الجهل والتخلف.

المحور الثاني : المدرسة وتعليمية اللغة العربية

تسعى المدرسة بكوادرها البشرية وكذا عمالها جاهدة من اجل تعليم اللغة العربية واللغات الأخرى على مستوياتها الثلاث الابتدائي، المتوسط والثانوي، بحيث تتلقى الفئات المتمدرسة حزمة من البرامج والمقاييس التدريسية المتعلقة باللغة العربية سواء تعلق الأمر بمقاييس حول القراءة والكتابة أو من خلال حصص النحو ،الصرف ،البلاغة والإعراب والتي يتلقى التلميذ من خلالها أبجديات هضم اللغة العربية ،كما يسعى متعلم اللغة العربية إلى تحقيق ثلاثة أهداف، هي:

أولاً: الكفاية اللغوية : والمقصود بها سيطرة المتعلم على النظام الصوتي للغة العربية، تمييزاً وإنتاجاً، ومعرفته بتراكيب اللغة، وقواعدها الأساسية نظرياً ووظيفياً؛والإلمام بقدر ملائم من مفردات اللغة، للفهم والاستعمال.

ثانياً: الكفاية الاتصالية :ونعني بها قدرة المتعلم على استخدام اللغة العربية بصورة تلقائية، والتعبير بطلاقة عن أفكاره وخبراته، مع تمكنه من استيعاب ما يتلقّى من اللغة في يسر وسهولة .

ثالثاً: الكفاية الثقافية: ويقصد بها فهم ما تحمله اللغة العربية من ثقافة، تعبِّر عن أفكار أصحابها وتجاربهم وقيمهم وعاداتهم وآدابهم وفنونهم . وعلى مدرس اللغة العربية تنمية هذه الكفايات الثلاث، لدى طلابه من بداية برنامج تعليم اللغة العربية إلى نهايته، وفي جميع المراحل والمستويات.) مختار الطاهر حسين ،ص ص ١١٤ - ١١٦)

المحور الثالث: كبار السن واحتياجات التعليم ومحو الأمية

إن اختلاف الحاجات الاجتماعية من مجتمع لآخر ، يلعب الدور الرئيسي في تشكيل محتوى البرامج المعتمدة ، وأن الظاهرة التعليمية تعتبر ظاهرة حركية أو ديناميكية ، بالتالي تعتبر عملية تغيّر. (مصطفى زايد، ١٩٨٦، ص ٨٦)وقد أكد مصطفى زايد أن البرامج المدرسية الجزائرية تطورت بتزامن الأحداث الكبرى لعملية الإصلاح التربوي التعليمي في الجزائر ، ومن تلك البرامج التربوية برنامج محو الأمية لفئة كبار السن وغير المتعلمين. ولأن المدرسة الجزائرية واكبت التطورات العالمية فإن الوزارة الوصية ومن خلال شركائها كوزارة التضامن والأسرة باشرت عملية تعليم كبار السن على المستوى الوطني من خلال فتح آفاق التعلم لتلك الفئة(كبار السن) ومحاولة القضاء على الجهل والأمية التي تركها الاستعمار الفرنسي. ولأن موضوع اليوم الدولي لمحو الأمية ٢٠١٥ هو "محو الأمية والمجتمعات المستدامة". ويمثل محو الأمية محركاً رئيسياً لتحقيق التنمية المستدامة. كما أن مهارات القرائية هي الشرط الذي لا غنى عنه لتحصيل تعلم مجموعة واسعة النطاق من المعارف، والمهارات، والاتجاهات والقيم اللازمة لتشييد المجتمعات المستدامة. في حين أن التقدم المحرز في مجالات التنمية المستدامة، مثل مجالي الصحة والزراعة، هو بمثابة عامل تمكين في تعزيز محو الأمية وإنشاء بيئات متعلمة، وفي هذا الصدد تؤكد

المديرة العامة لليونسكو "أن التكنولوجيات الجديدة، ولا سيما الهواتف المحمولة، تقدم إمكانيات جديدة لمحو الأمية لدى الجميع. ويجب علينا أن نستثمر فيها بقدر أكبر، وأناشد في هذا اليوم جميع الدول وجميع شركائنا أن يضاعفوا بذل جهودهم – على الصعيدين السياسي والمالي – لكي يُعترف اعترافاً تاماً بأن محو الأمية يمثل أحد أقوى العوامل المسرعة لتحقيق التنمية المستدامة.

ومن ثم فإن الاحتفال باليوم الدولي لمحو الأمية خصص في هذه السنة لاستكشاف الصلات الحاسمة وأوجه التآزر بين محو الأمية والأهداف الإنمائية المستدامة المستقبلية التي تم اعتمادها أثناء الدورة السبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥.وكما هو الحال في السنوات السابقة، تم الاحتفال باليوم الدولي لمحو الأمية ٢٠١٥ في جميع أرجاء العالم، بحيث ضم هذا الاحتفال الحكومات، والمنظمات متعددة وثنائية الأطراف، والمنظمات غير الحكومية، وممثلين عن القطاع الخاص، والمجتمعات المحلية، والمعلمين، والدارسين، والخبراء. أما الاحتفال العالمي الرئيسي فقد تم في مقر اليونسكو، حيث نُظّم حدث لمدة يومين عن محو الأمية والمجتمعات المستدامة (٨- ٩ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥) وقد دعي البلدان والشركاء كي يبذلوا جهوداً جديدة في فترة ما بعد عام ٢٠١٥.

المحور الرابع: الجزائر و برنامج منظمة "اليونسكو لمحو الأمية لعام ٢٠١٤:

على غرار باقي الدول والجمعيات الفائزة بجوائز من طرف منظمة اليونسكو كجمعية بوليغونو سور (إسبانيا)، معهد مولتينو للغات ومحو الأمية (جنوب أفريقيا) والمعهد الدولي لمحو الأمية، اللذان ينفذان مبادرة تُعرف باسم "جسور إلى المستقبل"، للتربية والتعليم فقد فازت الجمعية الجزائرية لمحو الأمية (اقرأ)، وهي منظمة غير حكومية أنشئت في عام ١٩٩٠، تركز على التعليم والتدريب من أجل محو الأمية، وتوفر برامج للاندماج في مكان العمل وتعزيز اكتساب سكان الأرياف والمناطق النائية مهارات القراءة والكتابة والحساب. وتستند برامج الجمعية إلى مناهج ابتكاريه وشاملة تتيح للنساء اللواتي يعشن في فقر مدقع في المناطق المعزولة الاندماج في المجتمع من خلال مجموعة من الدورات التدريبية في مجال مهارات القراءة والكتابة والحساب، والمهارات ذات المردود المالي. ويطبّق المستفيدون مهارات القراءة والكتابة والحساب التي يكتسبونها في إطار أنشطة مدرة للدخل تعدها مراكز معتمدة للتدريب المهني. وتجدر الإشارة إلى أن برنامج الجمعية الذي دعم أكثر من ٠٠٠ ١٧ شخص حتى الآن يوفر أيضاً المشورة القانونية للمتدربين السابقين بغية مساعدتهم على إدارة مشاريعهم الجديدة.

الإطار الميداني للدراسة:

أولا- الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية:

أ- مجالات الدراسة

أ-١ المجال المكاني: أجريت هذه الدراسة بابتدائية محمادي عبد الله ببلدية عين أرنات بولاية سطيف بالجزائر وتحديدا بقسم تدريس محو الأمية ، حيث تقع ابتدائية محمادي عبد الله في مركز مدينة عين أرنات تحدها من الناحية الشمالية الثكنة العسكرية للجيش الوطني الشعبي، ومن الناحية الجنوبية يحدها مقر بلدي عين أرنات، أما من الشرق تحدها ثانوية مالك ابن نبي، ومن الغرب يحدها الشارع الرئيس لبلدية عين أرنات.

أ-٢ المجال البشري: لقد حدد المجال البشري في هذه الدراسة بالأشخاص المتمدرسين من كبار السن بقسم محو الأمية ، وقد قدر عددهم ب٢٠ مسن من فئة الإناث يزاولون تعليمهم بالإبتدائية ميدان الدراسة .

أ-٣ المجال الزمني: أجريت هذه الدراسة في السنة الدراسية ٢٠١٤/٢٠١٥

ب- منهج الدراسة:

إن مناهج البحث – في أبسط معانيها – هي الإستراتيجيات التي يطورها علماء الاجتماع ثم يتبنونها في عملية جمع الشواهد والأدلة من عالم الواقع عن بعض الظواهر الاجتماعية المحددة التي يشرعون في دراستها. أي أن مناهج البحث هي شيء اكبر واخطر من مجرد اختيار أداة بحث معينة- مثل استمارة أو استبيان- لاستخدامها في جمع معلومات عن موضوع معين، غنما تتضمن مناهج البحث البدء بملاحظة قضية أو مشكلة اجتماعية معينة ثم طرح بعض الأسئلة عليها.(ميل تشيرتون وآن براون، ، ٢٠١٢،ص ص ٢٢،٢٣)

وتعتبر مادلين غراويتز مرحلة الوصف بأنها خطوة تشكل هدف البحث

نفسه، ويمكن أن تعد أيضا خطوة أولى للبحث، وهي خطوة وصف أعراض وضع اجتماعي ما . (مادلين غراويتز، ١٩٩٣ ، ص٨٠)،أما خال حامد في كتابه" منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية" فيعتبر المنهج الوصفي يتلاءم مع دراسة الظواهر الاجتماعية ، لأن المنهج الوصفي يصف الظواهر وصفا موضوعيا من خلال البيانات التي يتحصل عليها باستخدام أدوات وتقنيات البحث العلمي. ويقوم المنهج الوصفي على دراسة وتحليل وتفسير الظاهرة من خلال تحديد خصائصها وأبعادها وتصنيف العلاقات القائمة بينها.بهدف الوصول إلى وصف علمي متكامل لها. ولا يقتصر المنهج الوصفي على التعرّف على معالم الظاهرة وتحديد أسباب وجودها، وإنما يشمل كذلك تحليل البيانات وقياسها وتفسيرها والتوصل إلى وصف دقيق للظاهرة ولنتائجها. (خالد حامد، ٢٠٠٨، ص٤٣)

ويعتبر محمد عبيدات وآخرون المنهج الوصفي على أنه" عبارة عن طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها". (محمد عبيدات وآخرون، ١٩٩٩، ص ٤٦).ولأن موضوع بحثنا الحالي هو الذي يحدد المنهج الملائم ، إلى جانب الأدوات المنهجية المختارة في معالجة الموضوع. وبناءا على متغيرات موضوع بحثنا، فيمكن القول أن المنهج المناسب هو المنهج الوصفي الذي يعتمد على جمع مختلف الحقائق والمعطيات عن الظاهرة المدروسة ببلدية الدراسة قيد البحث، ومحاولة الوصول إلى تحليل سوسيولوجي عن واقع اللّغة العربية في مدارس محو الأمية لدى فئة المسن في ظل بوادر مشكلات التغير الاجتماعي الذي أفرزه تغير نمط الأسرة في المجتمع بولاية سطيف من جهة ، ومن جهة أخرى إفرازات الأوساط الحضرية وما تخلفه من آثار تغير القيم وتبدل النظرة لكبار السن غير المتمدرسين .ومن هذا المنطلق يمكننا المنهج الوصفي من رصد واقع اللّغة العربية وطرائق تدريسها في أقسام محو الأمية في الجزائر من خلال تشخيصنا لهذا الموضوع بالقيام بإجراء استجواب ومقابلة حرة مع طاقم المدرسين للغة العربية بالابتدائية ميدان الدراسة ، فالمنهج الوصفي يمكننا من معرفة الأسباب الكامنة وراء طلب المسنين تسجيلهم في المدرسة لتعلّم اللغة العربية وكتابتها .كما يمكننا أيضا المنهج الوصفي من معرفة أعداد كبار السن المتمدرسين بأقسام محو الأمية ومعرفة مختلف النشاطات العلمية والبرامج التدريسية المقدمة لهم في إطار برنامج محو الأمية لفئة كبار السن.

ج- أدوات جمع البيانات:

اعتمدت هذه الدراسة على أداة واحدة وهي تقنية المقابلة الحرة بحيث يعتبرها محمد شفيق بأنها:" هي أداة التفاعل اللفظي بين فردين في موقف المواجهة ومحاولة أحدهما أن يستشير بعض المعلومات لدى الطرف الآخر حول خبراته وأرائه ومعتقداته") محمد شفيق، ٢٠٠١، ص١٩٢. (

ويعرفها إنجلش على أنها" محادثة موجهة يقوم بها شخص آخر أو أشخاص آخرين،هدفها استثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها في بحث علمي، وللاستعانة بها على التوجيه والتشخيص والعلاج".(سيف الإسلام سعد عمر، ٢٠٠٩، ص٩٣)

تعتبر من أنواع المقابلات التي تتميز بالمرونة . ففيها يقوم الباحث بتوجيه مجموعة من الأسئلة بحسب ما تقتضيه الدراسة، وفي هذا النوع من المقابلات نجد بان الأسئلة تكون قليلة وبسيطة. ولأن المقابلة تسهل علينا معرفة وحصر الجانب الميداني في البحث أكثر، وكذلك تجعل المبحوثين يجيبون بكل مرونة ، وقد تم تطبيقها مع أستاذة مشرفة على عملية تعليم اللغة العربية في أقسام محو الأمية بولاية سطيف. من خلال التطرق إلى البرامج والنشاطات المقدمة للمسنين وكذا معرفة ظروفهم تمدرسهم وأوقاتها ومعرفة مدى استجاباتهم للغة العربية وتراكيبها النحوية والصرفية . كما تسهل علينا المقابلة أيضا فهم محتوى البرنامج المقدم لهم . وقد اعتمدت هذه الدراسة على المقابلة غير المقننة. وهذا من أجل الحصول على أكبر كم من المعلومات التي تساعدنا على التعمق أكثر في تحليلنا للبيانات ومن ثمة الاستنتاجات حول موضوع بحثنا الحالي. وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المقابلة غير المقننة في جمعنا للمعطيات والبيانات . حيث قمنا بإجراء المقابلة يوم ٢٣ نوفمبر٢٠١٥ مع الأستاذة المشرفة على عملية تعليم اللغة العربية ومحو الأمية لكبار السن، حيث كان فيها المبحوث في حالة هادئة وهو ما مكننا من جمع اكبر قدر من المعطيات عن هذه العملية التعليمية، وقد تجاوبت معنا الأستاذة في كل محاور الأسئلة التي

قدمناها لها .ودامت المقابلة أكثر من ٤٥ دقيقة.

× كما اعتمدنا في دراستنا على تقنية جمع الوثائق والسجلات التي تحصلنا عليها من طرف الأستاذة المشرفة على عملية تعليم الكبار وتمثلت تلك الوثائق والسجلات في:

- كتاب اللغة العربية " المستوى الأول"
-كتاب مذكرات الحساب
-كتاب نهج الهدى" المستوى الأول"
- كتاب نتعلم معا" جذع مشترك"
- دليل المعلم لكتاب الرياضيات " المستوى الثاني"
- دليل المنشط لكتاب الرياضيات"المستوى الأول"
- وثيقة توزيع الدارسين حسب الفئة العمرية .
- وثيقة بيان استلام الكتب.
- وثيقة ملف المتمدرسات.

وفيما يلي دليل المقابلة والأجوبة مع الأستاذة المشرفة على عملية تعليم اللغة العربية ومحو الأمية لكبار السن:

س١ / فيم يتمثل البرنامج التعليمي لمحو الأمية ؟

ج١/ يتمثل البرنامج التدريسي لمحو الأمية وتعليم الكبار من خلال التمدرس في سنتين تدريسيتين يتخلله مجوعة من المواد التعليمية كمادة اللغة العربية ومادة الرياضيات، ويطبق في نهاية هذا البرنامج امتحان رئيسي لكل متمدرس.مع العلم أن الوزارة الوصية تقدم كب دراسية مجانية لكل متمدرس تتمثل هذه الكتب في "اللغة العربية والرياضيات"

س٢ / ما هي مختلف النشاطات اللغوية والأدبية المُقدمة لكبار السن ؟

ج٢/ تتمثل النشاطات التي نقدمها فيما يخص تعليم الكبار في مادة اللغة العربية ومن خلالها نتطرق إلى المستوى الأول والذي يشمل الكتابة، القراءة، ، التعبير الشفوي، والحساب من خلال ضبط الأرقام وكتابتها مع إجراء بعض العمليات الحسابية البسيطة، مثل الجمع والطرح بحيث يدوم هذا المستوى سنة دراسية كاملة، أما في المستوى الثاني والثالث فنقدم لهم دروس في التعبير الكتابي مع قواعد اللغة العربية من خلال قواعد النحو والصرف والإعراب ومادة الرياضيات من خلال عمليات الضرب والكسور وغيرها.

س٣ / هل يستجيبون لتعلُّم اللغة العربية كتابة ونطقا ؟

ج٣/ نعم يستجيبون لتعلم اللغة العربية من ناحية الكتابة. ولكن الصعوبة التي نسجلها كأساتذة تكون أكثر في صعوبة النطق باللغة العربية الفصحى، لأنهم تعودوا في حياتهم اليومية على التحدث باللغة العامية حتى أن قراءتهم لبعض سور القرآن الكريم تكون اقرب للعامية منها إلى اللغة العربية الفصحى .

س٤- هل تعتمدون على نظام الفصول الدراسية كما هو الحالي مع باقي الأطوار الدراسية ؟

ج٤/ لا نعتمد على نظام الفصول كما هو الحال بالنسبة للأطوار التعليمية الأخرى، وإنما يتم التدريس حسب ثلاث مستويات وهذه المستويات تستغرق سنتين دراسيتين .

س٥- حسب اعتقادكم . هل البرنامج الدراسي المقدم لهم كاف لتحصيلهم اللغة العربية ؟

ج/٥ نعم يمكن اعتبار البرنامج التدريسي كاف جدا خصوصا انه شامل لمجمل أساسيات قواعد اللغة العربية .وقواعد مادة الرياضيات.

س٦- على أي أساس تتم برمجة وصياغة أسئلة الامتحان ؟

ج/٦ كل أستاذ يقوم ببرمجة وصياغة أسئلة امتحان المستويين الأول والثاني ، أما في المستوى الثالث فيكون امتحان رئيسي موحد عبر تراب الولاية ولكل المسنين المتعلمين . بحيث تشرف عليه لجنة مكونة من أساتذة ومفتشين ، في حين أن عملية التصحيح تكون في يوم واحد من طرف الأساتذة المكونين لبرنامج محو الأمية وتعليم الكبار .

س٧- ما هي البرامج التي وجدتم فيها استجابات اكبر من قبل المسنين؟

ج٧/ في اللغة العربية وجدنا اكبر استجابة للمتعلمين مقارنة بمادة الرياضيات وذلك لأن مادة الرياضيات تعتمد على الرموز التي صعبت نوعا ما درجة الاستيعاب لديهم.

س٨- ما هي الصعوبات التي يتلقونها كونهم كبار في السن ؟

ج٨/ صعوبات نفسية واجتماعية مع بعض المشاكل الأسرية الخاصة، صعوبات مرضية من خلال عدم الرؤيا بوضوح ، نقص السمع ونقص الحركة التي أثرت بدورها على درجة الاستيعاب.

س٩- كيف تقيّمون كأساتذة برنامج محو الأمية وتعليم الكبار ؟

ج٩/ البرنامج هام جدا بحيث يشمل أساسيات التعلم لدى كبار السن ، إلا أن المدة الزمنية قليلة لأن البرنامج في المستوى الثاني والثالث مكثف وهذا ما أعاق نوعا ما سرعة الاستيعاب. مع أننا سجلنا بطئ في عملية الفهم والإدراك خصوصا مع هذه الفئة الكبيرة التي تحتاج وقت طويل حتى تتمكن من التعلم بشكل جيد.

ب- عينة الدراسة :

عينة الدراسة في هذا البحث هي قسم محو الأمية بابتدائية عبد الله محدادي ببلدية عين أرنات بولاية سطيف. وقد خصصنا حالة الأستاذة (ف . عالم) كونها مشرفة على عملية تدريس اللغة العربية ومحو الأمية لكبار السن على مدار ثلاث سنوات متتالية (من سنة٢٠٠٩إلى غاية ٢٠١٢) ، ومنه فإن عينة البحث الحالي هي عينة مقصودة كون أن الأستاذة مقيمة بالقرب من مكان إجراء الدراسة وهي مختصة في علم البيولوجيا الأمر الذي يساعدنا في حصر الاحتياجات الفيزيولوجية والنفسية و الاجتماعية التي يحتاجها كبار السن مع التقدم في العمر ومن بينها الحاجة إلى التعلم والتعليم .

ثانيا- تحليل محتوى المقابلة :

بالنظر إلى معطيات المقابلة التي جمعتنا مع الأستاذة المشرفة على عملية تعليم كبار السن بالمؤسسة محل الدراسة، نجد أن البرنامج التعليمي والتّعلمي لمحو الأمية وكبار السن ثري من ناحية مناهجه ومحتوياته، ذلك انه شامل لمجمل ما يحتاجه كبار السن من تغذية علمية في إطار محاولة اكتساب القراءة والكتابة لمادة اللغة العربية ومحاولة ضبط الحروف ورسمها، وتركيب الجمل وتصحيحها. كما أنهم يتلقون قواعد اللغة من نحو وصرف. ولأن المنهاج التعليمي لمحو الأمية لا يقتصر على مادة اللغة فحسب . بل يتلقى أيضا كبار السن مهارات العد والحساب من خلال أن الوزارة الوصية أدرجت مادة الرياضيات في المستويات التعليمية الثلاثة وهو ما يمكّن كبار السن من اكتساب مهارة الحساب ، إلا أن المراحل المتقدمة من العمر لكبار السن أثرت نوعا ما في مستويات تحصيلهم وهو ما أفادتنا به الأستاذة من خلال أن كبار السن يعانون بعض الأمراض كمرض نقص الرؤيا وبطئ الحركة عند خروجهم للكتابة على الصبورة، مع نقص السمع الذي يؤثر بدوره في عدم فهم البعض منهم. كما أنهم يعانون أيضا من بعض المشكلات النفسية والاجتماعية داخل أسرهم فتلك المشكلات والأعراض النفس جسدية هي التي حالت دون تحصيلهم الجيد والكامل .

ويعتبر كبار السن أن مرحلة التعلم والقراءة من الأهمية بمكان خصوصا في المجتمعات التي عانت من ويلات الغزو والحروب كما هو الحال مع كبار السن في الجزائر. وخصوصا الأميون منهم والذين تعتبر أميتهم ضحية نتائج ما خلفه الاستعمار، لذلك لابد من مواجهتها بمختلف الطرق والمناهج العلمية والأكاديمية.

ثالثا- قراءة تحليلية لمحتوى برنامج محو الأمية في الجزائر:

يتمثل برنامج محو الأمية وتعليم الكبار في الجزائر الموجه للمتعلمين والمتعلمات بفصول محو الأمية إلى مسعى إصلاح المنظومة التربوية وتنفيذ الإستراتيجية الوطنية الخاصة بمحو الأمية في أفق سنة ٢٠١٦، والتي تهدف إلى إكساب المتعلم المهارات اللغوية الأساسية كالتعبير ،القراءة والكتابة مع غرس مجموعة من القيم الأخلاقية والاجتماعية والحضارية التي تمكن المتعلم من التواصل والتفاعل الإيجابي مع أفراد المجتمع، وحمل الرسالة التربوية التي تهدف إلى تحسين وتوعية الفئة المعنية بخطورة آفة الأمية على مستقبلهم ومستقبل أبنائهم وأسرهم .

إن الدارس في محو الأمية ينال حقه من التعليم حتى يلبي حاجاته التعليمية والمعرفية والتربوية ذات الصلة المباشرة بمتطلبات التكفل الذاتي وترقية شعوره بالمسؤولية إلى مستوى أفضل، وبوعي دوره الفاعل في الحياة التي أصبحت توصف بالتعقيد والتشابك، لذلك فمن الضروري في وقتنا الحاضر تفعيل ادوار التعلّم والتعليم خصوصا للفئات التي لم يسعفها الحظ في التمدرس في الأطوار التعليمية المختلفة كفئة كبار السن والمرضى وذوي

الإحتياجات الخاصة حتى تتمكن من الدخول إلى الحركية التعليمية والاستجابة لمتطلبات الحياة الاجتماعية.وفي هذا الصدد يقول ابن الوردي :

اطلب العلم ولا تكسل فما

ابعد العلم عن أهل الكسل

لا تقل قد ذهبت أيامـــــه

كل من سار عل الدرب وصل

(ابن الوردي)

لذلك دأبت وزارة التربية و التعليم في الجزائر من خلال مؤسساتها وهياكلها على مواكبة التطورات الحاصلة في مجال التعليم ومحو الأمية من خلال تدريس كبار السن وتعليمهم قواعد اللغة العربية من اجل تحسين مستوى التعلم والقضاء على الجهل والأمية للكل بمختلف المناهج التدريسية والطرق الأكاديمية والعلمية .

خاتمة :

في ختام هذه الدراسة نستنتج بان ملكة اللغة العربية هي صناعة كما اعتبرها ابن خلدون في مقدمته، ذلك أن اللغة العربية ليست لغة للتواصل فحسب. بل هي ملكة عقلية يجب الاستثمار فيها إذا أردنا أن ندفع بها الدول والأمم العربية إلى مصاف العلوم التقدمية . فالعلوم التي نمت و تقدمت جعلت من اللغة منطلقا للتفسير والتحليل في كثير من القضايا والمشكلات التي طرحت . كما أن ازدهار الحضارة العربية والإسلامية بالأمس القريب أساسه قوة في اللغة العربية وروافدها ومناهجها، حتى أن الكثير من الأعمال العربية ترجمة إلى اللغات الأجنبية حتى يفهم معناها ومبناها . ولأن تعليم اللغة العربية في الآونة الأخيرة يشهد اهتمام كبير من طرف بعض رجال الساسة ورجال الفكر والإعلام، فإن الهدف منه العودة إلى تاريخ الحضارة وأصالتها ومحاولة مواكبة عولمة الفكر الذي يستدعي منا مزيدا من اكتساب المهارات اللغوية والأدبية حتى نتمكن من فهم التطورات الحاصلة عالميا وفق منطلقات بيئاتنا العربية والإسلامية وهذا لن يتأتى إلا من خلال فهم اللغة العربية وآدابها ومقاصدها ولذلك يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم" أحبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام الجنة عربي" .

قائمة المصادر والمراجع:

١- ابن منظور، لسان العرب، نقلا عن: مصطفى محمد أحمد الفقي، رعاية المسنين، المكتب الجامعي الحديث، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨، ص٢٣

٢- مصطفى محمد أحمد الفقي، رعاية المسنين، المكتب الجامعي الحديث، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨، ص٢٣

٣- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، وزارة التربية والتعليم، القاهرة ،مصر، ١٩٩٠، ص ١٣٥٥، نقلا عن : نعيم مطر جمعة الغلبان، "مرحلة الشيخوخة " متغيرات ومتطلبات في الجانب النفسي والبيولوجي"، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر،٢٠٠٨،ص ٣٦

٤- كمال يوسف بلان،" دراسة مقارنة لسمة القلق عند المسنين المقيمين في دور الرعاية أو مع أسرهم"، مجلة جامعة دمشق، المجلد٢٥، العدد(١+٢) ٢٠٠٩، دمشق ، سوريا، ص ٢١

٥- أحمد شفيق السكري، قاموس الخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية ،الأزاريطة، مصر ،٢٠٠٠

٦- فرانسوا دورتيه، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط١، الإمارات العربية المتحدة،٢٠٠٩، ص٥١٨

٧- ميل تشيرتون وآن براون، علم الاجتماع النظرية والمنهج، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، مصر، ٢٠١٢، ص ص ٢٢ ، ٢٣

٨- مادلين غراويتز، مناهج العلوم الاجتماعية،"الكتاب الثاني منطق البحث في العلوم الاجتماعية"،ترجمة: سام عمار، ط١،المركز العربي للتعريب والترجمة، دمشق، سوريا، ١٩٩٣ ، ص٨٠ .

٩- خالد حامد، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، دار جسور للنشر والتوزيع، ط١،المحمدية، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٤٣

١٠- محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، دار وائل للطباعة والنشر،ط٢، عمان، الأردن، ١٩٩٩، ص

١١- مختار الطاهر حسين، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء المناهج الحديثة ، دط .. ص ص ١١٤ - ١١٦

١٢- مصطفى زايد، التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦، ص ٨٦

١٣- احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، ص ٤٥

١٤- فاروق مداس، قاموس مصطلحات علم الاجتماع،دار مدني للنشر والتوزيع، الجزائر ،٢٠٠٣، ص ٧٢

١٥- رشيد لبيب، الأسس العامة للتدريس، دار النهضة العربية، ط١، بيروت ، لبنان، ١٩٩٣،ص٢٩

١٦- http://www.unesco.org/new/ar/education/themes/education-building-blocks/literacy/single- /

١٧- محمد شفيق، البحث العلمي والخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتبة الجامعية ، القاهرة، مصر، ٢٠٠١، ص ١٩٢.

١٨- سيف الإسلام سعد عمر، الموجز في منهج البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، دار الفكر ، دمشق، سوريا، ٢٠٠٩، ص ٩٣)

١٩- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٤ ، ص٤٥٠

٢٠- روي بروسر، تعليم الكبار في البلدان النامية، ترجمة إبراهيم مهدي الشبلي، المنظمة العربية و الثقافة و العلوم – الجهاز العربي لمحو الأمية و تعليم الكبار، ١٩٨٠، ص١٧.

٢١- محمد جمال نوير، برامج و مجالات التربية غير النظامية و حاجة الريف المصري إليها، مجلة النيل، يناير العدد (٣)، القاهرة ١٩٨٠، ص ص ٩-١٠.

٢٢- يحيى هندام و محمد منير مرسي و آخرون، تعليم الكبار و محو الأمية – أسسه النفسية و التربوية ،عالم الكتب للنشر ، القاهرة،مصر،دت، ص١٢.

٢٣- الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار ،نتعلم معا، قسم البحث والتربية، ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الرغاية، الجزائر، ٢٠٠٤